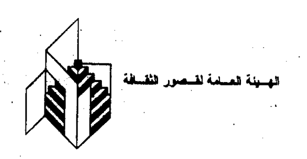


بيريه الحكيم يتحدث

تبسيط

أحمد فضل شبلول



كتاب الأطفال والطلائع تصدره الهيئة العامة لقصور الثقافة

هذا الكتاب يناسب سن من ١٢ إلى ١٦ سنه

عندمـا يكون البـرد شـديدا، وبخـاصـة أثناء الليل، أذهب إلى سريرى فى ساعة مبكرة، وفى يدى أحد الكتب، لأستمتع بالدفء فى السرير، وأيضاً بالدفء بين صفحات الكتب التى يسبح فيها عقلى وخيالى، فأنسى أحياناً أن هناك برداً وزمهريراً فى خارج المنزل.

وذات ليلة كان البرد شديد القسوة، لم تفلح معه أغطية السرير من اللحـاف والبطاطين، فطرحت الكتـاب الذى كنت أقـرأه جـانبـا، وذهبت إلى خزانة الملابس، لأستخرج المزيد من الملابس الشتوية، فلمحت على أحد الرفرف بيريهاً أزرق مصنوعاً من الصوف، كان أحد القراء أهدانى إياه إعجابا بمقالاتى ومسرحياتى وكتبى، فمددتُ للبيريه يدى، ونفضته من تراب ربما يكون عالقاً به، ووضعته على رأسى، فسرى دفء لذيذ فى ذلك الرأس الذى كان يشكو من البرد القارس، وليلتها استطعت أن أنعم بقراءة جميلة، ونوم دافئ لذيذ. وأخذت أفكر عن معنى اسم «بيريه» فتذكرت أن هناك مدينة يونانية اسمها بيريه بُنيت عام ٤٥٠ قبل الميلاد، وربما كانت هذه المدينة تشتهر بصناعة أغطية الرأس التي سُميت باسمها، وانتشرت هذه الأغطية فى مصر عندما دخلها اليونانيون، واستقروا فيها بعض الوقت.

منذ ذلك الوقت وأنا لم أستطع الاستغناء عن ذلك البيريه الأزرق، حتى فى فصل الصيف، وكما أصبحت العصا ابنةً من الخشب بالنسبة لى، فهى تلازمنى كأنها جزء من ذراعى، تنتقل معى، ولا تغضب منى، ولا تملُ من صحبتى، أصبح البيريه كذلك صديقاً لى، لا يفارقنى شتاءً وصيفاً، فهو يلازمنى كأنه أصبح جزءاً من رأسى، بل جزءاً من تفكيرى، وهو كثيرا ما كان يناقشنى فى أفكارى وكتاباتى ومقالاتى ومسرحياتى، وكثيرا ما كان يعرض علىَّ أفكاره هو لأناقشها وأدوِّنها.

★★★

لقد أحب البيريه أعمالى القريبة إلى الشعر، وكثيرا ما كان يردد فى وقت خلوتى هذه الكلمات التى كتبتها فى مقدمة مسرحية «يا طالع الشجرة» التى أقول فيها:

يا طالع الشجرة

هات لى معاك بقرة

تحلب وتسقينى

بالمعلقة الصينى..»

والشىء الذى أدهشنى أن كثيراً من الأطفال والصبية قد رددوا

هذا الكلام ومازالوا يرددونه فى بلادنا إلى هذا الوقت.

وذات صباح سمعته ينشد كلمات يقول فيها:

عروق ذهب فى جبل

جبل يسير على قدم

فدونت هذه الكلمات، لأستكملها فيما بعد.

★★★

وذات مرة شاهد البيريه فى أحد محلات لعب الأطفال دمية مصنوعة من الخشب، أعجب بها، وبالملابس التى ترتديها تلك الدمية، وتوقف كثيرا عندها، ثم أخذ يدق على رأسى لأكتب له تلك الكلمات التي أملاها على:

دمية من خشب

ثيابها دمقس[1]

ضفائرها أشعة شمس

أهدابها مطر

---

(١) الدمقس : الحرير الأبيض .

تغمض وتفتح

فتغضب الشمس وتفرح

دمية خشبية

حياتها أبدية[(١)]

لأنها ما تصنع

أن تغمض وتفتح

★★★

غير أن البيريه كان يناقشنى فى مسرحياتى التي أكتبها، كأنه ناقد مسرحى ذكى، درس تاريخ المسرح العالمى منذ كتاب المسرح القدماء ببلاد اليونان، وحتى أصدقائى الذين يكتبون الآن للمسرح، وقد كان البيريه كثير الإعجاب بمسرحية عنوانها «رحلة قطار» وهى مسرحية تدور معظم أحداثها فى أحد القطارات، فقد اختلف سائق القطار ومساعده، على لون إشارة المرور، هل هى خضراء فتكون السكة مفتوحة أمام القطار فيعبر الطريق، أم أنها حمراء فيقف القطار ولا يعبر الطريق، حتى لا يقع تصادم أو ترتكب حوادث.

---

(١) أى حياتها طويلة ممتدة لا تنتهى .

قال مساعد السائق : الإشارة حمراء..

قال السائق : الإشارة خضراء..

المساعد : حمراء..؟!

السائـق : مثل البرسيم الأخضر.. والسكة مفتوحة على ما يرام..

المساعد : (يعيد النظر) شيء عجيب.. ولكنها أمامى حمراء.. حمراء مثل شعلة النار..

السـائق : الإشارة خضراء.. افتح عينك جيدا وانظر..

المساعد : (ينظر مدققا) سبحان الله! نظرى سليم.. ستة على ستة.. حمراء.. والله العظيم حمراء..

السائـق : (يعيد النظر) ها هى أمامى.. خضراء..

المساعد : (يدقق النظر) وهاهى أمامى.. حمراء..

السائـق : أتريد منى أن أعتمد على نظرك أنت..!

المساعد : لا طبعا.. أنت السائق المسئول.. لكن إذا اتضح أنها حمراء فعلا.. وأن السكة مقفولة فعلا.. وسرت أنت في الطريق لأصبحنا فى خطر حقيقى.. فأنت مسئول عن أرواح خمسمائة راكب موجودين في عربات القطار. لذا أرى أن توقف القطار فى الحال..

الســـائق : أوقف القطار..؟!

المساعد : نعم.. أوقفه دقيقة واحدة.. لنتأكد من لون الإشارة..

السائق : لا مانع..

(يقوم السائق بوقف القطار.. ثم ينزل مع مساعده من القاطرة.. وينظران إلى الإشارة بإمعان)..

المساعد : مرة أخرى أراها حمراء..

الســائق : يا أخى النور الأخضر فى أعلى السيمافور يتألق بشدة..

المساعد : بل هو الأحمر.. والله..

الســائق : يا ناس!.. أهذا أحمر؟ إننى لم أفقد بصرى.. هذا أخضر.. هذا لون أخضر..

(وهنا يبدأ بعض الركاب فى النزول من القطار ليعرفوا لماذا توقف بهم السائق فى هذا المكان. ومن بين الركاب كان هناك موسيقى شاب، ورجل أعمال، وبعض الآنسات والسيدات).

الموسيقى : لماذا توقف القطار؟

مساعد السائق : السكة مقفولة..

الموسيقى : يا للعطلة!.. أسنقف هنا طويلا؟!..

المساعد : علمى علمك..

السائق : اسمع يا أخى سؤال بسيط من فضلك.. هل تستطيع أن ترى سيمافور الإشارات.. هناك..

الموسيقى : هناك.؟

السائق : (يشير له) نعم هناك.. أمامك.. فى أعلاه نور..

الموسيقى : (ناظراً إلى مكان الإشارة) نعم.. نعم.. هذا نور حقا.. يضىء هناك..

السائق : ما هو لون هذا النور..؟

الموسيقى : لونه.. أخضر..

السائق : (فى فرحة) أخضر.. لونه أخضر.. قل لهذا الرجل (مشيراً لمساعده).

المساعد : (للموسيقى) أهو أخضر أم أحمر..؟!

السائق : سبق أن قال يا أخى.. ألم تسمعه..؟

المساعد : لم أسمع جيدا.

الموسيقى : أخضر.

السائق : أسمعت؟

المساعد : (للموسيقى) أأنت تراه بعينيك أخضر.؟

الســائق : طبعاً رآه بعينيه.. بماذا تريد أن يراه إذن؟

المساعد : هل أنت متأكد؟

الموسيقى : بالطبع متأكد..

الســائق : بالطبع متأكد.. لأنه رجل مبصر..

(وهنا يجئ رجل المال والأعمال إليه ويسأل..)

رجل المال والأعمال : لماذا وقف القطار؟

الموسيقى : جئت منذ دقائق لأسأل نفس السؤال..

الرجل المالى : حقا.. أنا لاحظت اختفاءك من المقعد أمامى.. إذن قل لى: لماذا وقف القطار هنا..؟

الموسيقى : لأن..

الســائق : لأنى أنا الغلطان.. سنسير حالا.. هيا إلى مقاعدكم. (ولمساعده): وأنت هيا بنا.. أنا غلطان أنى استمعت إلى كلامك.. وأوقفت القطار دقائق لنتأكد مما أنا متأكد منه.. تفضل أمامى.. هيا..

المساعد : لحظة واحدة.. نسأل هذا السيد.. بالمرة..

الســائق : نسأله فى ماذا..؟

المساعد : فى مسألة النور..

السـائق : هذه المسألة انتهينا منها.. هيا بنا..!

المساعد : زيادة الخير.. نسأله لأكون مطمئنا..

السائق : فليكن.. (للرجل المالى) تسمح يا أستاذ..

الرجل المالى : أفندم..

السائق : النور فى سيمافور الإشارات هناك.. هل حضرتك تراه..؟

الرجل : (مشيرا بإصبعه) هناك..

السائق : بالضبط.. هناك يوجد نور فى أعلاه..

الرجل : حقا.. يوجد نور..

السائق : حسنا.. ما لون هذا النور..؟

الرجل : لونه أحمر..

المساعد : أحمر..؟! أحمر.. أحمر.. يحيا العدل..!

السائق : (باستغراب) أحمر؟!

الموسيقى : (للرجل) تقول أحمر؟!

الرجل : بالطبع أحمر.. هذا واضح مثل الشمس..!

السائق : انظر جيداً يا حضرة المحترم.. يوجد هناك لون أخضر.. ولون أحمر.. ألا تراه أخضر..؟!

الرجـــل : لا.. أبداً إنه أحمر..

السائـــق : هل أنت متأكد أنه اللون الأحمر..؟

الرجـــل : متأكد جداً..

المساعد : سيادته يؤكد أن اللون أحمر، وهو بالفعل أحمر..

السائـــق : في نظرك..

المساعـد : ونظر سيادته..

السائـق : مع الأسف، ولكني أؤكد أنه أخضر.. وحضرة الموسيقى يؤكد معى أنه أخضر..

الموسيقى : حقا.. إنه أخضر..

الرجل : (للموسيقى) كيف تقول ذلك. إنه أمامك أحمر.. أحمر..!

الموسيقى : أكذب على نفسى.. إنه أخضر.. أخضر

السائـــق : المسألة الآن تعقدت..

المساعـد : الحمد لله أنى لم أصبح وحدى فى رأيى..

السائـــق : اسكت.. سد فمك..

الرجـــل : والحل الآن..؟

الموسيقى : حقا.. لا يجوز وقوف القطار هكذا طويلا..

الرجـــل : مصالحى ستتعطل..

الموسيقى : وأنا خطيبتى فى انتظارى.. إننا سنعقد زواجنا غدا إن شاء الله.. (للسائق) يا حضرة السائق.. إلى متى هذا الوقوف؟. لابد من السير..

السائـــق : حقا.. لابد من اتخاذ قرار..

الموسيقى : وبسرعة..

المساعد : ليس هذا الأمر سهلا.. ما دام النور أحمر.. فمعنى هذا أن السكة مقفولة.. يعنى أن الطريق أمامنا خطر..

السائـــق : هذا إذا كان النور أحمر حقيقة.. أما إذا كان أخضر.. فوقوفنا هنا هو الخطر.. لأن قطار الإكسبريس التالى سيلحق بنا بعد قليل.. وسيصدمنا من خلفنا.. ويجرفنا جرفاً..

الموسيقى : يا للكارثة..!

الرجـــل : حقا..؟

المساعد : والكارثة أيضاً إذا سرنا والسكة مقفولة.. الخطر أمامنا طبعاً.. لكن هل السكة مفتوحة أم مقفولة؟! هذه هى المسألة..

(هنا تظهر سيدة وفتاة من ركاب القطار) —

السيــــدة : لماذا توقف القطار؟

الرجــــل : هذا هو موضوع بحثنا لماذا توقف القطار..؟

الآنســــة : هل القطار سيسير قريبا..؟

الموسيقى : السائق هو الذى يدرى.. يظهر أن فى الأمر مشكلة..!

السائـــق : (صائحا) لابد من اتخاذ قرار.. حالاً..

المســاعد : فلنسأل السيدتين أيضاً..

السائـــق : ضرورى.. وسنأخذ بأغلبية الأصوات.

المســاعد : لك ذلك..

السائـــق : (للسيدة) من فضلك.. انظرى هناك.. فى هذا الاتجاه..

يوجد نور فوق السيمافور..

السيــــدة : (تنظر) نعم.. حقا..

السائـــق : ترين هذا النور.؟

السيــــدة : طبعا.. أراه جيدا..

السائـــق : ما هو لونه..؟

السيــــدة : لونه أحمر..

المســاعد : الحمد لله..

السائـــق : اسكت أنت.. أحمر..؟ أنت متأكدة..؟

السيدة : (وهى تنظر) متأكدة جداً.

السائق : عجيبة..!

المساعد : ما رأيك الآن..؟

السائق : نسأل الآنسة أيضاً..

المساعد : تفضل..

السائق : اسمحى لنا يا آنسة.. النور العالى هناك.. ما لونه..؟

الآنسة : (تنظر للنور) لونه أخضر..

المساعد : متأكدة..؟

الآنسة : كل التأكد.. أخضر.. أخضر..

السائق : لم نتقدم خطوة واحدة..

الموسيقى : والنتيجة..؟

الرجل : هل القطار سيبيت هنا..؟

السائق : مستحيل.. خطر الوقوف أشد من خطر السير..

المساعد : وخطر السير أشد من خطر الوقوف..

الآنسة : اسألوا أيضاً غيرنا عن لون النور..

الموسيقى : فعلا.. لابد أن تسألوا ركاب القطار الآخرين..

السيدة : اسألوا القطار كله وخلصونا..

السائــق : ولم لا..

الرجــل : أسرع إذن.. أرجوك..

السائــق : فكرة طيبة.. نسأل جميع الركاب..

المساعـد : أذهب أنا وأجمع لك الآراء..

السائــق : لا يا سيدى.. لن تذهب وحدك.. أنا معك.. تعال معى.. وإياك والتعليق بحرف واحد على الإجابات..

المساعـد : لا منى.. ولا منك..

السائـق : هيا بنا نمر على كل العربات ونسأل.. (للواقفين) وابقوا هنا أنتم إذا شئتم.. لحراسة القطار..

السائـق : (من الخارج) يا حضرات الركاب.. من فضلكم.. لحظة واحدة.. نريد من حضراتكم أن تقولوا لنا ما هو لون الإشارة.. إشارة السيمافور.. هناك!

أصـوات : (مختلطة صائحة في هرج ومرج): إشارة..؟ سيمافور..؟ أى إشارة..؟ أى سيمافور..؟

المساعد : هس .. سمع.. سمع.. يا حضرات هذا لايصلح.. لا يليق.. الحكاية كلها مجرد سؤال.. نسأل..؟

أصـوات : (صائحة فى اختلاط) أنا أجاوب.. أنا أقول.. أنا الأول..

السائق : حلمكم.. الصبر طيب. واحد.. واحد.. نسمع إجابة هذا الأفندى..

الأفندى : نعم أرى لون الإشارة.. هذا لون.. أخضر..

السائق : أخضر..؟

صوت : (ينطلق فجأة من بين الركاب): إنه أحمر..

السائق : أرجوكم.. أرجوكم.. بالترتيب.. سيجئ دورك.. متأكد يا حضرة الأفندى.. انه أخضر..؟

الأفندى : متأكد..

المساعد : وأنت يا عم يا صاحب المقطف هناك.. انظر وقل لنا..

صاحب المقطف : أنا يا ابنى نظرى ضعيف..

المساعد : أه لا مؤاخذة..

السائق : وأنت يا ست..؟

صوت : ردى يا ست ام حنفى..

السائق : لا .. لا.. الست أم فستان لبنى مشجر..

المرأة : خدامتك..

السائق : اللون.. من فضلك.. هناك.. انظرى..

المرأة : اللون .. أخضر..

السائق : متأكدة يا ست..؟

المرأة : أخضر مثل عود البقدونس..

المساعد : وأنت يا أستاذ.. حضرتك؟

الرجل : أنا مدرس محفوظات وخط عربى..

المساعد : جميل.. تفضل انظر إلى لون الإشارة..

المدرس : اللون .. أصفر..

المساعد : أصفر..؟!

السائق : غير معقول..!

المساعد : لا يوجد أصفر يا أستاذ.. إما أحمر وإما أخضر..

المدرس : سبحان رب العزة.. أنا أراه أصفر.. وأنا حر يا أخى..

السائق : أنت متأكد انه أصفر..

المدرس : متأكد جدا.. وأصر كل الإصرار.. إنه أصفر.. أصفر.. أصفر.. كأنه الكركم..

المساعد : أمرك..

السائق : وأنت يا ست يا شابة.. إذا سمحت.. انظرى هناك وقولى لنا اللون.

الشابة : أحمر.. فى عين عدوك..

السائـق : متأكدة انه أحمر..

الشابة : عيب.. أغشك..؟

المساعد : وأنت يا جدع هناك.. أبو جردل غازوزة.. انظر إلى اللون.. وقل لنا..

البائع : أحمر.. أحمر.. كوكاكولا.. بيبسى..

السائــق : وأنت يا سيدنا الشيخ.. هناك.

الشيخ : خضراء..

المساعد : أنت واثق انها خضراء..

الشيخ : نعم خضراء.. ولله الحمد من قبل ومن بعد..!

السائق : وآخرتها..؟!

المساعد : والنتيجة..؟!

السائق : أظن أنه لا داعى للاستمرار..

المساعد : أظن.. خصوصاً وأنه مازالت أمامنا عربات كثيرة..

السائق : من رأيى أن نمر عليها بسرعة.. نخلص ذمتنا..

المساعد : نعم.. بسرعة.. ع الماشى!

السائق : من فضلكم.. جميع ركاب العربات.. انظروا هناك.. هذه الإشارة.. هناك .. عمود الإشارات.. السيمافور.. فوقه

نور.. ما لون هذا النور..؟

أصوات : أحمر.. أحمر.. أحمر..

أصوات : أخضر .. أخضر.. أخضر..

السيدة : (تسأل) وأخيراً..؟!

الآنسة : أخيراً.. لا شيء!-

السيدة : هل سنمضي الليل هنا..؟

الآنسة : من يدرى..؟

السيدة : الحق أن المكان هنا جميل.. وهذا القمر المكتمل..

الآنســة : لولا هذا البدر الطالع.. بكامل استدارته.. لبدا المكان موحشا..

السيدة : كل شيء حولنا مضيئ.. كما لو كان في الفجر..

الآنســة : نعم.. وهذه المزارع.. تحت السماء الصافية.. غسلتها الأمطار.. بعد العاصفة التي هبت بالأمس.. حقا كل شيء هنا جميل الآن.. حتى نقيق الضفادع..

الموسيقي : فعلا.. ضوء القمر جميل.. ومفيد أيضاً..

(السائق ومساعده يعودان بدون نتيجة)

السائق : أما زلتم هنا منتظرين..؟

الرجل المالى : ألم تقل لنا احرسوا القطار..؟

الموسيقى : وقد حرسناه..

المالى : بالذمة والأمانة.. وأنتما ماذا صنعتما..؟

المساعد : لا شىء.. النتيجة.. صفر..

المالى : صفر..!

السائق : لم نتقدم.. ولم نتأخر..

السيدة : حقا هذا شىء عجيب..!

الأنية : فعلا عجيب..!

السائق : هذا شىء محير.. أيمكن أن يصاب الناس كلهم بعمى الألوان فى وقت واحد..؟!

المساعد : نصف القطار فقط..

السائق : نعم.. نصف القطار أصيب بعمى الألوان..!

الموسيقى : أى نصف..؟؟

السيدة : حقا.. أى نصف..؟

المساعد : النصف الذى يقول الأخضر طبعاً..

السائق : ولماذا لا يكون هو النصف الذى يقول الأحمر..؟

المالى : لا يهم أى نصف..!

السـائق : هذا صـحـيح.. لم يعـد يهم أى نصف.. المهم الآن أننا لايمكن أن نستمر فى الوقوف.. هذا خطر.. خطر جداً.. قطار الإكسبريس خلفنا.. يجب أن نتصرف بسرعة..

المالى : أنا لدى فكرة تحتاج إلي تعاون وقوة..

السائق : ما هى هذه الفكرة..؟

المالى : أن نقوم جميعاً بإبعاد القطار والإلقاء به بعيداً..

الجميع : (فى صوت واحد) الإلقاء به بعيداً..؟

المالى : بعيداً عن طريق الإكسبريس.. بعيداً عن الخطر..

السائق : نلقى بالقطار بعيداً..؟

المالى : وأنا مستعد أن أشتريه حديد خردة بالسعر المناسب..

السائق : لا.. لا.. الطريقة الوحيدة هى أن نسير..

المساعد : برغم أن السكة مقفولة..؟

السائق : إنها مفتوحة..؟

المساعد : هذا هو موضوع الخلاف.. ولم ننته إلى شيء..

الآنسة : هل تسمحون لى بكلمة..؟

السائق : تفضلى..

الآنسة : أليس كشك الإشارات قريبا من هنا..؟

السائق : على بعد كيلو متر..

الآنسة : هل ممكن أن يذهب أحد إلى هناك ويسأل ويتأكد..؟

الموسيقى : فكرة مدهشة..

السائق : (لمساعده) إذن هلم بنا.. ولنعد بسرعة..

السيدة : (بعد فترة صمت) أسمع صوت صفير..؟

الرجل المالى : أظنه صفير الإكسبريس.. فلنبتعد قليلا..

السيدة : الإكسبريس..؟ يا للكارثة.. يجب أن ننبه جميع الركاب..

(يظهر السائق ومساعده عائدين)

الجميع : خيرا..؟

السائق : لا شيء..

الجميع : (فى دهشة) لاشيء..

المساعد : نعم لا شيء..

الجميع : ماذا تقولان..؟

السائق : لا يوجد شيء هناك.. الكشك.. والسيمافور.. والإشارات.. وعامل الإشارات.. والمصابيح.. وموظف الكشك.. غير موجودين..

الجميع : ما هذا الكلام..؟

المساعد : هذه هى الحقيقة..

السائق : وجدنا بالطبع الكشك.. ولكنه مهجور.. ونوافذه مهشمة.. عاصفة الأمس حطمته.. إنه أنقاض .. مجرد بقايا.. مجرد أنقاض..

الآنسة : إذن لم يكن هناك إشارات..؟

السائق : مادام السيمافور لا يعمل..

الموسيقى : لم تكن هناك ألوان إذن..؟

المساعد : مادامت المصابيح مهشمة..

السيدة : وكيف رأينا إذن اللون الأحمر..؟

الموسيقى : الأخضر..؟

الرجل : الأحمر..؟

الآنسة : الأخضر.؟

السائق : اسألوا أنفسكم..؟

الجميع : (للسائق) وأنت..؟

السائق : أنا أيضاً أسأل نفسى من ساعتها..

الجميع : (للمساعد) وأنت..؟

المساعد : مثلكم جميعا..

السيدة : كيف رأينا تلك الألوان إذن..؟

الموسيقى : هذا هو الشىء المحير..

الرجل : والنتيجة الآن..؟

السائق : النتيجة.. أنه مادامت لا توجد إشارات معينة فمعنى هذا أن السكة مفتوحة.

المساعد : ولماذا لا نقول.. إنه مادامت لا يوجد إشارات تفيد الأمان.. فالسكة مقفولة..

السائق : يجب أن نتحرك فى الحال..

المساعد : فى حركتنا مجازفة..

السائق : وفى وقوفنا أيضاً مجازفة..

الرجل : لكن السير

الموسيقى : لكن الوقوف..

★ ★ ★

عند هذه النقطة بالذات من مسرحية «رحلة قطار» كان البيريه يسألنى : ماذا ستفعل أيها المؤلف العظيم..؟ هل ستكون مع الواقفين أم مع السائرين.. هل ستكون مع السائق الذى يريد السير بالقطار، أم مع المساعد الذى يريد الوقوف..؟

قلت للبيريه الذى كان يفكر أثناء كتابة أحداث هذه المسرحية: أنا مع الحركة، وضد السكون، فالحركة بركة، والسكون يعنى الخمول الذى يؤدى فى النهاية إلي الموت، ولابد للأشياء أن تتحرك، ولابد للإنسان أن يتحرك، لأن الأشياء إذا توقفت، والإنسان إذا ظل ساكنا، فمعنى ذلك أنه لا يوجد حياة، فالحياة هى الحركة، والحركة هى الحياة. هل رأيت أيها البيريه العزيز إنساناً يظل طوال حياته نائما، لا يأكل ولا يشرب، ولا يعمل.. ولا يتحرك..؟ أو حتى نملة خامدة فى الأرض لا تسعى إلى رزقها..؟

البيريه : نعم رأيت..؟

الحكيم : أين أيها البيريه..؟

البيريه : فى مسرحيتك «أهل الكهف»..

الحكيم (ضاحكا) : هذا موضوع آخر يا بيريهى العزيز.. إن مسرحية «أهل الكهف» تأثرت فيها بالقصة الواردة فى القرآن الكريم فى سورة «الكهف» التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها : [إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا، ثم بعثناهم لنعلم أى

الحزين أحصى لما لبثوا أمدا، نحن نقص عليك نبأهم بالحق، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى] صدق الله العظيم.

لقد أمات الله «أهل الكهف» ٣٠٩ سنوات [ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا] ثم أحياهم أو بعثهم إلى الحياة مرة أخرى، لحكمة عظيمة من عند الله، أى إن سكونهم أو موتهم كان لحكمة من عند الله، وموعظة لقومهم، ولجميع الناس فى كل مكان وزمان، أما السكون الذى نتحدث عنه فى مسرحية «رحلة قطار» فهو غير سكون أهل الكهف طبعا أيها البيريه.

البيريه : نعود إلى المسرحية، وأسألك مرة أخرى: هل ستكون مع الواقفين أم مع السائرين.. هل ستكون مع السائق الذى يريد السير بالقطار، أم مع المساعد الذى يريد الوقوف..؟

الحكيم : أعتقد أنك عرفت إجابتى من خلال الكلام السابق، سأكون طبعا مع السائق الذى يريد السير بالقطار، لأن هذا يعنى الحركة، وسأضع نهاية المسرحية على الوجه التالى:

السائق : (فجأة يصرخ ويحرك ذراعيه كالقاطرة السائرة) تريك تراك

تريك تراك تريك تراك تريك تريك تريك..

الجميع : (ملتفتين إليه) انظروا!! انظروا!! ماذا يفعل؟؟

(السائق يقفز إلي القاطرة ويطلق صفارتها طويلا.. إيذانا بالسير.. وعندئذ يهرع الجميع بحركة غريزية يتسلقون القطار..)

البيريه : (للحكيم) تقول بحركة غريزية يتسلقون القطار..؟

الحكيم : نعم.. بحركة غريزية.. ماذا فى هذا..؟

البيريه : معنى هذا أن الحركة شيء غريزى في الإنسان.. فالإنسان لا يستطيع الوقوف ساكنا.. ولابد أن يتحرك.. فالحركة - كما قلت - حياة، والحياة - كما قلت - حركة..

الحكيم : نعم أيها البيريه.. أما زلت تشك فى ذلك..؟

* * *

البيريه : إن هذا يذكرنى بقصتك «بعد مليون سنة»..

الحكيم : «بعـــد مليـــون سنة».. «بعـــد مليـــون سنة».. نعم.. نعم..أتذكرها..

البيريه : أليست هذه القصة تتحدث أيضاً عن السكون والحركة، ولكن بعد مليون سنة..

الحكيم : هى قريبة من ذلك فعلا.. مع تغيير بسيط..

البيريه : ما هو..؟

الحكيم : هذه القصة تخيلت فيها ما يمكن أن يقود إليه العلم من كسل الإنسان، فما دام كل شيء موجودا وجاهزا عند الإنسان.. فلماذا يعمل إذن.. ولماذا يتزوج.. ولماذا ينجب.. فالمعامل أخذت تنتج النسل الآدمي.. إلى أن كف الناس عن الرغبة فى أن يكون لهم أولاد وأحفاد.. خاصة أنه لا يوجد موت.. ولا حروب.. ولا حب.. ولا كره.. لقد أصبح البشر الموجودون شأنهم شأن عناصر الطبيعة الخالدة التى لا تتغير، إنهم باقون دائما كتلك الشمس الباقية، وذلك القمر، وذلك البحر، وذلك الجبل.. وهو ما يخالف طبيعتهم كبشر.. من المفروض أنهم يتحركون.. ويعملون.. ويتعلمون.. ويروحون ويجيئون.. ويحبون.. ويكرهون.. ويتحدثون مع بعضهم البعض. إنهم وهم على هذه الحالة ـ الجديدة التى أتاحها لهم العلم، لم يعرفوا شيئاً عن ماضيهم ولا عن مستقبلهم، فقط يعيشون حاضرهم بكل ما فيه من كسل وتواكل على ما أتى به العلم من

مخترعات. إن العلم الذى يعنى التفكير والحركة، قاد الناس - بعد مليون سنة - إلى الكسل وعدم الحركة، فأصبح الإنسان خاملا لا يفكر فى شىء، ولا يرغب فى أن يتحرك ويتعلم شيئا جديدا، وبالتالى فقد تجمدت مشاعره، ولم يعد يضحك لشىء، أو يحزن لشىء، فأصبح بلا إنسانية، مادام أصبح بلا حركة.

* * *

البيريه : إنه شىء عظيم أن تفكر فى المستقبل بهذه الطريقة، وماذا إذن عن الماضى.. فى أعمالك..؟

الحكيم : أى ماض تقصد..؟

البيريه : ماضى البشرية، ماضى الإنسانية..؟

الحكيم : حدد بالضبط ماذا تريد..؟

البيريه : أريد أن تحدثنى عن بعض الشخصيات التاريخية التى تحركت، أو تحدثت، فتحرك معها الناس، أو تحدث عنها التاريخ..

الحكيم : سأحدثك عن شخصيتين فقط، الأولى هى الملكة المصرية العظيمة كليوباترا التى كانت تحمل على جبينها تاج

مصر، والتى أحبت أنطونيو الذى كان يحكم روما، والذى انتحر بعد أن بلغه - بالكذب - أن الملكة المصرية كليوباترا قد ماتت أثناء الموقعة الحربية التي عرفت باسم موقعة «اكتيوم»، فصاح أنطونيو:

وماذا تنتظر بعد الآن يا أنطونيو، لقد سلبك الموت من كانت تحبب إليك الحياة..

ومات انطونيو.. ولم يعلم أن كليوباترا كانت على قيد الحياة..

البيريه : وماذا فعلت كليوباترا بعد أن علمت أن حبيبها أنطونيو قد مات بهذه الطريقة..؟

الحكيم : حزنت كليوباترا كثيرا على فراق حبيبها، وحاولت أن تتفاهم مع ملك روما الجديد المنتصر، لتظل تحكم مصر، ولكن لم يوافق ملك روما الجديد على ذلك، وأحست كليوباترا أن هذا الملك سيغدر بها، ويخلعها من على عرش مصر، ويقبض عليها وعلي أولادها، ويرسلهم إلى روما، ويسجنهم هناك، فما كان منها إلا أن أمرت وصيفاتها بإعداد الحمام كى تستحم، ولبست ثيابها الملكية، وجلست

على سريرها المصنوع من الذهب، وأمرت بإحضار حية لتلدغها، فتموت منتحرة بسم الحية..

البيريه : وأنت أيها المفكر.. ما رأيك فى هذه الطريقة التي ماتت بها الملكة كليوباترا..؟

الحكيم : رأيى أن كليوباترا كانت ملكة تحب شعبها، وامرأة تحب رجلها، وأماً تحب أولادها، وعندما أحست بالإهانة، وأن قلبها لم يعد يتحمل كل هذا الحب، بعد الهزيمة التى وقعت بها، فضلت الانتحار على هذه الطريقة..

البيريه : وجهة نظر مقبولة..

الحكيم : أعتقد ذلك..

** *

البيريه : ومن هى الشخصية الثانية التي ستحدثنى عنها..؟

الحكيم : الشخصية الثانية ، هى شخصية «جحا»..

البيريه : جحا..!!؟

الحكيم : نعم جحا.. صاحب النوادر والحكايات الغريبة والمضحكة..

البيريه : وأين ولد هذا الجحا..؟

الحكيم : ولد جحا فى حارات القاهرة.. بمرحها الحلو.. ونكاتها

الرائعة..

البيريه : كيف ذلك.. وأنا أسمع أن جحا هذا رومى..؟ أى مولود فى روما..

الحكيم : المشكلة فى جحا.. أنه كلما ذهب إلى بلد.. ينسبه الناس إلى ذلك البلد، فمرة هو رومى، ومرة شامى، ومرة هو أعجمى.. وهكذا..

البيريه : وماذا عن النوادر والنكات والحكايات الغريبة والمضحكة التي كان يؤلفها جحا..؟

الحكيم : هذه النوادر والنكات والحكايات.. من تأليف الناس وصنعهم، وليست من تأليف جحا وصنعه.. ولو ألف جحا هذه النوادر والنكات لما أعجبت الناس، وضحكوا لها.. إنهم يضحكون عليها، لأنهم هم الذين يصنعونها..

البيريه : كيف ذلك..؟

الحكيم : الدليل على أن هذه الحكايات والنوادر والنكات من صنع الناس أنفسهم، وليست من صنع جحا، ان فيها الجيد والردئ، والظريف والسخيف، مثل الناس تماما، وكلها تعيش، ويتحدث بها الناس، ويتناقلونها من عصر إلى

عصر، ومن مكان إلى مكان، ومن بيئة إلى بيئة..

البيـريه : أتريد أن تقنعنى أن هذه النوادر والحكايات المضحكة لم تقع لجحا بالفعل..؟

الحكيم : وهل من الممكن أن يقع كل ما سمعناه لشخص واحد، لقد تزوج جحا فى هذه النوادر مئات المرات، ومات مئات المرات، ودفن مئات المرات، وكان أحياناً الرجل الطيب، وأحياناً الرجل العبيط، وأحيانا اللص والمحتال، وأحيانا الكريم وأحيانا البخيل، والسمين والنحيل والغنى والفقير، والمنافق والصادق، والعاقل والمجنون.. إلى آخر هذه الصفات والعيوب والمزايا..

البيريه : ليس من المعقول أن تتحد هذه الصفات كلها.. فى شخص واحد..

الحكيم : بالضبط.. لقد كان جحا مثل الحائط القائم فى الطريق، وكل شخص وجد حكاية جميلة عنده أو قبيحة، كتبها وعلقها على هذا الحائط، وبالطبع فإن الحائط لا يستطيع أن يرضى أو يكره أو يمسك بكل من يكتب على صدره كلمة، أو يعلق على سطحه ورقة..

البيريه : وما الذى جعل جحا يرضى بأن يكون مثل الحائط للناس، دون بقية خلق الله..؟

الحكيم : اتساع صدره للنكتة الجيدة.. وتقبله لما يقوله الناس.. وحبه للمرح.. وتستره على أول كاذب كذب على الناس.. وقال إن هذه النكات من صنع جحا.. فنسب إليه ما شاء.. كما أن ضحكه وقبوله للنكتة الرائقة الجيدة.. اضطره أن يقبل إلى جانبها مئات النكات السخيفة.. دون أن يلوم قائليها..

البيريه : بمناسبة الكلام عن جحا.. ألا تتذكر نادرة من نوادره.. أو نكتة مما ينسب إليه من نكات..؟

الحكيم : إليك هذه يا بيريهى العزيز..

زعموا أن جحا ذهب إلى العالم الآخر.. عالم ما بعد الموت.. وأراد أن يغافل رضوان.. حارس بوابة الجنة.. ويدخل الجنة.. فتقدم إليه وقال له: اسمح لى يا سيد رضوان بأن ألقى نظرة من الباب على صديق لى فى الجنة.. فسمح له أن يلقى نظرة على صديقه وهو على عتبة الباب، ثم صرفه.. فذهب جحا.. ثم عاد وقال له: نظرة أخرى على صاحب قديم آخر.. فأذن له رضوان ثم

صرفه.. فذهب جحا.. ثم عاد يطلب مثل ما طلب.. وتكرر الأمر حتى ضاق به رضوان ذرعاً.. فصاح به: لقد خايلتنى يا هذا! كلما فتحت عينى وجدتك بالباب.. إما أن تدخل وإما أن تخرج..! فسرعان ما قال جحا: أدخل.. وبادر بدخول الجنة..!

* * *

البيريه : هذا عن نكات جحا ونوادره وحكاياته المضحكة.. غير أنى أعرف أن لك أيضاً حكايات وقصصا تبعث على الابتسام والضحك.. من تأليفك.. أليس كذلك..؟

الحكيم : نعم.. أحياناً أحب أن أقدم للقارئ شيئاً فكاهيا أو مضحكاً.. يزرع الابتسامة على شفتيه..

البيريه : أتذكر الآن قصتك «الأسطى عزرائيل».. فهل حدثتنا عنها..؟

الحكيم : سأحدثك عنها.. على أن تكون حكايتى الأخيرة لك فى هذه الجلسة اللطيفة.. لأننى أريد أن أتفرغ لكتابة بعض أعمالى التى تدور فى رأسى.. ورأسك أيضاً أيها البيريه العزيز..

البيريه : فليكن لك هذا يا صديقى..

* * *

الحكيم : ذهبت فى أوائل الصيف أحلق ذقنى عند الحلاق.. وكان ذلك أوان ظهور فاكهة البطيخ في القاهرة.. وأسلمت رأسى للحلاق.. مستقبلا بوجهى النسيم الصناعى من المروحة الكهربائية.. ووضع الحلاق على ذقنى الصابون الرطب، فشعرت بمتعة.. وراح يسن الموسى حتى لمع نصلها، وجاء فأخذ رأسى بين يديه.. ثم همس فى أذنى قائلا بلهجة غريبة:

– لا مؤاخذة.. لى عندك طلب بسيط..

ورفع الموسي عن صدغى منتظراً كلامى.. فقلت له:

– تفضل..

فأمسك برأسى، واستأنف الحلاقة، وهو يقول:

– هل تعرف حضرتك أحداً في مستشفى المجاذيب..؟

فدهشت، ولكن قلت بهدوء:

– هل توهمت أننى كنت نزيل هذه المستشفى..؟

فأسرع يقول متأسفا:

– العفو.. العفو.. لم أقصد ذلك.. إنما أردت أن أقول إنى أتوسم فيك حب الخير.وأنك لابد أن تكون شخصية كبيرة، وتعرف أحدا من

أطباء المستشفى..

– لماذا..؟

– لي شقيق مجنون.. أريد أن أخرجه..

– مجنون..؟ وهل شفى..؟

– إنه لم يكن مجنوناً خطراً.. ولكنها دعوى باطلة من المستشفى.. كل ما فى الأمر أنه أحيانا تتراءى له خيالات، ويتصور تصورات لا ضرر فيها ولا غبار عليها.. ولا تؤذى أحدا.. فلا هو هاج، ولا ماج، ولا صرخ، ولا صخب، ولا ضرب، ولا أحدث تلك الضوضاء التي يحدثها المجانين الذين يحبسون فى مستشفى المجاذيب..

– عجبا.. وماذا فعل إذن حتى استحق أن يحجز بالمستشفى..؟

– لا شىء يا سيدى.. المسألة بسيطة : شقيقى هذا كان حلاقا مثلى.. وكان يعمل ذات صباح في أمان الله. وكان الوقت صيفا، والحر شديدا، وكان فى يد شقيقى رأس زبون لا يتخير على حضرتك.. فتخيل أن رأس هذا الزبون بطيخة.. وكانت فى يده الموسى.. فأراد أن يشقها بالطول..

فخفت.. وصحت في الحال:

– يشق ماذا..؟

- يشق البطيخة.. أعنى رأس الزبون..!

فارتعدت.. وجمد الدم فى عروقى.. وكان رأسى وقتها فى يده.. والنصل الحاد البراق يمر عند الحلق.. وأمسكت أنفاسى خوفا.. ولكنى تجلدت وقلت له بوداعة ورفق لأدخل عليه الرضا، وأبعث لنفسى الاطمئنان:

- طبعا شقيقك هذا شاذ فى العائلة..؟

فقال الحلاق.. ونصله فوق حلقى :

- الحقيقة أن هذا شىء فى العائلة كلها..

ثم استطرد قائلا:

- أنا نفسى أحياناً تخطر لى تصورات عجيبة.. خصوصاً فى موسم البطيخ..

ولمعت عينا الحلاق ببريق عجيب مثل بريق النصل الذى فوق حلقى.. فأيقنت بقرب فتح رأسى.. وتشهدت على نفسى.. وترحمت.. وأغمضت عينى مستسلما لمجئ الموت.. وخروج الروح..

مكثت على هذا الحال دقائق.. ولم أفتح عينى إلا على صوت رشاشة الكولونيا وهى تمطر وجهى.. وعلى صوت الحلاق وهو يقول لى: نعيماً..

انتفضت فى الحال.. ونهضت من على كرسى الحلاق كمن ولد من جديد.. ودفعت حسابى.. والحلاق يوصينى بشقيقه، والتوسط فى إخراجه من مستشفى المجانين.. وما أن وضعت قدمى خارج صالون الحلاقة.. حتى تنفست بعمق.. وأقسمت أن أحلق ذقنى بيدى.. أو على الأقل لا أدخل عند هذا الحلاق فى موسم البطيخ..

* **

البيريه : الحمد لله أنك خرجت لنا سالما من تحت يد هذا الحلاق.. وإلا لأصبت أنا أيضا فى حياتى إصابة بالغة..؟

الحكيم : كيف ذلك..؟

البيريه : وهل عندما - لا سمح الله - تصاب أنت فى رأسك الذى سيصبح مثل البطيخة المفتوحة.. سأكون أنا سعيدا؟.. إننى سأفقد وظيفتى في حماية هذا الرأس المفكر.. وربما تغضب منى لأنى لم أكن قادرا على أداء وظيفتى على الوجه اللائق.. فتقوم بطردى من فوق رأسك.. وإعادتى مرة أخرى إلى خزانة الملابس.. لا عمل لى.. ولا وظيفة أؤديها.. وسأكون غير قادر على الحركة وعلى الحياة معك.. والاستماع إلى أفكارك وهى تدور داخل رأسك..

قبل أن تخرج إلي الورق.. وإلى الناس..

الحكيم : حقا أيها البيريه العزيز.. وشكراً على إخلاصك لى.. وعلى إيمانك بمبدئنا الذى تحدثنا عنه كثيرا هنا وهو «الحركة هى الحياة.. والحياة هى الحركة».. وإلى اللقاء فى جلسة أخرى معك..

الأعداد القادمة

١- ايزيس	ابريل ١٩٩٩
٢- الحكيم وحكايات الفن	مايو ١٩٩٩
٣- يوميات نائب فى الأرياف	يونيو ١٩٩٩
٤- الحكيم وحماره	يوليو ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٨/١٢٢٩٧

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦